

# التعليم الديني العالي في النساء قبل الاستقلال

بقلم : الدكتور نسيم اختر الندوي  
(جامعة جواهر لال نهرو - نونهر)

إن مناهج الدراسات العربية والإسلامية للبنات ، السائدة بالهند في عصرنا هذا لم تكن لها نفس الصورة قبل الاستقلال ، ولكن المدارس الابتدائية كانت تهتم بتعليم الأولاد والبنات معاً ، ويتم التدريس في البيوت والمساجد والمكاتب ، فعامة النساء كن يتعلمن قراءة القرآن ويحفظنه . ويتعلمن شيئاً من الكتابة ، أما بالنسبة للدراسات العليا الخاصة بالبنات ، فلم يكن المجتمع محروماً منها البتة ، حيث نجد أن العلماء قاموا بتربية بناتهم ، وتثقيفهن في بيوتهم ، و كذا بنات السلاطين والأمراء في القصور . وبدأ تاريخ التعليم العالي للبنات في أسر العلماء منذ زمن الإمام أبي الله الدهلوي رحمه الله تعالى ، الذي سعى جاهداً في ترويج التعليم للبنات فراعى بنفسه تعليم نساء أسرته ، و دعا أبناءه و تلامذته إلى اتباع خطواته . كذلك يذكر صاحب الأرواح الثلاثة ، إن الشيخ إسماعيل الشهيد رحمه الله تعالى علم أخته مشكاة المصابيح ، ثم الصحاح الستة (١) .

فبجهود هؤلاء العلماء راجت الدراسات العليا للبنات في أسر العلماء . أما المقررات الدراسية السائدة آنذاك . فكانت تشمل على قراءة

(١) شاه أمير خان : "الأرواح الثلاثة" ، التعليق والتحشية لسيد سرك عبي  
التهانوي ، كتب خانة نعیمیة - دیوبند ۱۳۴۳ھ - ص ۱۰۸

القرآن الكريم وتحفيظه ، ودراسة الحديث ، وما يتطلب من الفقه ، والثقافة الإسلامية من بين سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وسير الصحابة وغيرهم من رجال الفكر والدعوة .

نذكر هنا عن بعض النساء اللاتي اشتهرن في مجال العلوم والفنون في عصر حكومة المسلمين في الهند ، كمثال : رضية بنت التمش ؛ وهي بعد ما أخضعت البلاد لأمرها التفتت إلى تحسين حالة البلاد العامة ، فبشت العلوم في عصرها ، و "ستي خانم" زوجة الحكيم نصير الدين الكاشي التي كانت فصيحة بليغة بارعة في القراءة والتجويد ، استخدمتها أرجند بانو صاحبة شاهجهان ، فتقربت إليها بحسن تدبيرها ؛ فجعلتها معلمة لجهان آراء بيغم (١) ، وسليمة سلطانه بنت غل رخ بيغم بنت السلطان ظهير الدين بابر ، واسم والدها مرزا نور الدين محمد النقشبندي ، ولدت سنة خمس وستين وتسعمائة من الهجرة ، واشتهرت كفاضلة وشاعرة عفيفة ، يعترف بكفاءتها العلمية الملك المغول جهانغير في كتابه : "ترك جهانغيري" ؛ فيقول :

"بجميع صفات آراستكي داشتند ، در زنان اين مقدار هنر ، وقابليت كم جمع شد" (٢) .

"هي تتصف بجميع المحاسن والمكارم ، وقلما توجد هذه الصفات الحميدة في النساء" .

(١) العلامة عبد الحمي : "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" ، يعني : "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر" : ج/٥ ، ص/١٧٦ ، مكتبة دار عرفات - راي بريلي ١٩٩١ م .

(٢) صباح الدين عبد الرحمن : "بزم تيمورية" : ج/٣ ، ص/٢٤١ ، مطبع معارف ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

ماهم بيغم : وهي كانت مرضعة لجلال الدين أكبر ، وكانت عالمة فاضلة أسست مدرسة كبيرة في مدينة دهلي لتزويج العلوم والفنون ، وهي تسمى بـ "خير المنازل" (١) ، و نواب زينة النساء بيغم بنت السلطان محي الدين أورنغ زيب ، وهي الملكة الفاضلة ، والأديبة الشهيرة ، ولدت في سنة ثلاث وخمسين وألف ، ونشأت وترعرعت في تربية ملوكية ، ومن مآثرها زينة المساجد في دهلي .

نواب زيب النساء بيغم بنت السلطان محي الدين أورنغ زيب : وهي حفظت القرآن الكريم على مريم أم عناية الله الكشميري ، ثم تعلمت الكتابة من نسخ و تعليق ، وقرأت الكتب الدراسية على الشيخ أحمد بن أبي سعيد الحنفي الأميتهوي (٢) ، وعلى غيره من العلماء ، التفت حولها كثير من العلماء والشعراء ، ولها مؤلفات عديدة ، نحو : "زيب المنشآت" ؛ وهو مجموع رسائلها ، و "زيب التفسير" ؛ وهو ترجمة التفسير الكبير للرازي .

جانان بيغم بنت بيزم خان ، وأخت عبد الرحيم خان خانان : وهي كانت ذكية و مثقفة ، شهيرة في أخلاقها الحسنة ، وتوقير العلماء وحب الفقراء قامت بتفسير القرآن الكريم .

أمة الغفور بنت إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي ، إحدى الصالحات القانتات كانت تتصلع بالفقه والحديث ، تزوج بها الشيخ عبد القيوم بن عبد الحي الصديق البرهانوي ، وجاء بها إلى بوفال ، وكان إذا استصعب عليه أمر من الفقه والحديث يدخل عليها ويستفيد منها (٣) .

و نور جهان بيغم : اسمها مهر النساء ، وهي بنت اعتماد الدولة

(١) أيضاً : ج/٣ ، ص/٢٤٢ .

(٢) العلامة عبد الحي : الإعلام (نزهة الخواطر) : ج/٦ ، ص/٩٩-١٠٠ .

(٣) أيضاً : ج/٧ ، ص/٨٩ .

غياث الدين بن محمد شريف الطهراني ، نشأت وترعرعت في الأسرة العفيفة ، تعلمت الخط والحساب ، وفنوناً أخرى ، توفيت سنة خمس وخمسين وألف ببلدة لاهور ، اشتهرت بعلمها وفنها ، ولا سيما بشعرها .

وشمس النساء السهسوانية : وهي بنت الفاضل الكبير السيد أمير حسن المحدث السهسواني اشتهرت كعالمة فاضلة وقارئة ، تعلمت الخط والكتابة ، والنحو والصرف ، و التفسير ، ومشكاة المصابيح ، ثم الصحاح الستة على أبيها ، وحازت بالفضيلة (١) ، كانت حادة الذكاء ، سريعة الخاطر ، قوية الحفظ ، تحفظ المتون والأسانيد تذكر في النساء ، و تشرفهن بتوجيهاتها الدينية القيمة ، توفيت سنة ألف وثلاثمائة وثمان ، وأرجمها بانر الملقة بمرتاز محل ، زوجة الملك شاهجهان ، كانت متحلية بالعلم ، ولها براعة في اللغة الفارسية كذلك ممن حصلن على سمعة كبيرة في الدراسات العليا نواب شاهجهان بيغم بنت نواب سكندر بيغم : وهي كانت ملكة فاضلة ، ولدت في عام ألف ومأتين وأربعة وخمسين ، حصلت الفنون ، وتعلمت الخط والكتابة ، واللغة الفارسية ، والإنشاء والشعر ، اشتهرت في القدرة على ترجمة القرآن الكريم ، والكتابة الرسائل الدينية ، كانت صاحبة الفضل والكرم ، قامت بإحياء المدارس العلمية ، وشيدت المساجد العظيمة ، وقررت الوظائف الضخمة ، منحت الطلبة آلاف من المصاحف ، والكتب الدينية ، أنفقت مالا عظيماً على طبع المصحف والتفسير واللغة وغيرها من العلوم والفنون ، وأسست المدرسة الجهانغيرية ، ولها كتب مشهورة منها : "ديوان الشعر" ، و "تهذيب النسوان" ، توفيت سنة ألف وثلاثمائة وتسع عشرة (٢) ، جهان آراء بيغم بنت شاهجهان : نشأت وترعرعت في مهل

(١) أيضاً : ج/٨ ، ص/٣٠٠ .

(٢) أيضاً : ج/٨ ، ص/١٩٨-٣٠٠ .

العلم والمعرفة ، قرأت الدروس الابتدائية على ستي خانم ، وتعلمت بعد ذلك القراءة والتجويد من نفس المعلمة (١) ، هذه المرأة قد حصلت الدراسة العليا ، وأصبحت مؤلفة وشاعرة ، والجدير بالذكر أنها ألفت "مونس الأرواح" (٢) ، وهي كانت ابنة ست و عشرين من عمرها . ذكرت فيها ، عن تراجم السيد معين الدين الجشتي ، والشيخ حميد الدين الناغوري ، والشيخ قطب الدين الكاكي رحمه الله ، وفريد الدين غنج شكر ، ونظام الدين أولياء ، وجراغ الدهلوي (٣) .

و غلبدن بنت السلطان ظهير الدين بابر ، ولدت بأرض خراسان ، وكانت فاضلة وشاعرة وعفيفة ، وصاحبة العقل والدهاء ، وذات الأمر والرأي ، ولها "همايون نامه" كتاب بسيط في أخبار أبيها وصنوه ، توفيت سنة عشر وألف من الهجرة في أيام أكبر ، وخديجة بنت عمر بن صلاح الدين البنجابي : وهي من سلطانات الهند ، نشأت وتعرّعت في بلادها أيها ، وتلقت من العلم والثقافة ما جعلها من أندر نساء زمانها أدبا وكمالا ومعرفة (٤) ، وصالحة بنت عناية رسول الله : وهي كانت امرأة فاضلة عفيفة ، تعتبر إحدى الصالحات القانتات ، ولدت سنة أربع وثمانين ومائتين وألف بجرياكوت ، ونشأت في مهد أبيها ، وقرأت عليه الكتب الدراسية ، لازمته أباهم ملازمة طويلة حتى برعت في العلوم كلها ، عقليا كان أو نقليا . توفيت عام ألف و ثلاثمائة و ثمانية عشر (٥) ، فاطمة الخانفورية بنت القاضي محمد

(١) أيضاً : ج/٨ ، ص/١٩٨-٣٠٠ .

(٢) مآثر الكرام : ج/٢ ، ص/٩١-٩٢ ، نقلاً عن بزم تيمورية - للمؤلف صباح الدين عبد الرحمن بتصرف .

(٣) صباح الدين عبد الرحمن : بزم تيمورية : ج/٣ ، ص/٢٤٩ .

(٤) عمر رضا كحالة أعلام النساء : ج/١ ، ص/٣٢٨ ، مؤسسة الرسالة بيروت ،

سنة ١٩٥٩ م . (٥) العلامة عبد الحفي : الإعلام (نهضة الخطاير) : ٢١١/٨ .

حسن بن محمد غل الخانفوري المزاروي ، وهي كانت من الفاضلات الصالحات ، والقائات ، قرأت العلم على والدها ، وعلى أخويها الفاضلين ، القاضي عبد الأحد ، والقاضي محمد ، توفيت عام ألف وثلاثمائة واثنين (١) ، ولحاظ النساء السهوانية : ولدت في شعبان سنة تسعين ومائتين وألف ببلدة رامفور ، تعلمت الخط والكتابة ، والنحو والصرف ، وغيرهما من العلوم الآلية ، ثم قرأت بلوغ المرام ، وبعض الصحاح والسنن على الشيخ بشير السهواني ، ثم أخذت بعض كتب الأحاديث عن حسين بن محسن اليماني ، وحصلت لها الإجازة عنهما ، وعن الشيخ المحدث نذير حسين الحسيني الدهلوي ، وهي شهيرة في كونها حادة الذكاء ، سريعة الحفظ ، أنفقت عمرها في دراسة الحديث والتفسير ، توفيت سنة تسع و ثلاثمائة و ألف بمرادآباد .

نهضت في عصر حكومة المسلمين كثير من السلطانات والأميرات اللاتي

قمن بتأسيس مدارس لترويج العلوم الدينية نذكر بعضاً منها فيما يلي :

١- مدرسة ماهم بيغم بدلهي : وهي كانت مرضعة للملك جلال الدين

أكبر ، أصبحت هذه المدرسة مشهورة باسم : "خير المنازل" .

٢- مدرسة فتحفوري بيغم بدلهي : أسست هذه المدرسة عام

١٠٦٠هـ ، وقامت فتحفوري بيغم ببناء حجرات للعلماء في هذه المدرسة .

٣- مدرسة أكبر آبادي بيغم بدلهي : كانت تتوفر في هذه المدرسة أيضاً

حجرات للطلبة والأساتذة ، استمرت خدمة هذه المدرسة إلى نهاية الحكومة المغولية ،

تفتخر هذه المدرسة على أن شاه عبد القادر المحدث الدهلوي ، قد شرف الطلبة

بالتدريس فيها ، بدأت المدرسة سفرها التعليمي عام ١٠٦٠هـ ، واستمرت إلى

١٨٥٧م ، ثم دمرت بأيدي الإنجليز (٢) .

٤- مدرسة البنات بفتحفور : أسست في قرب القصور للسلطين ،

توجد آثارها حتى الآن (٣) .

٥- مدرسة راجي بيغم ؛ وهي زوجة الملك شاه محمود عالم : أسست هذه

المدرسة عام ٨٠٤هـ ، وبنت في قربها مسجداً عينت المنح الدراسية للطلبة

والطالبات (٤) .

٦- مدرسة غازي الدين خان دهلي : أسست هذه المدرسة في القرن الثاني

عشر من الهجرة .

(١) أيضاً : ٣٩٣/٢ . (٢) أيضاً : ص/١٦٢ . (٣) أيضاً : ص/١٦٨ . (٤) أيضاً : ص/١٦٩ .